دور الاتساق والانسجام في تحقيق التماسك النصّي
في القرآن الكريم – سورة النجم أنموذجاً–

أ/ ربعية بن مخلوف
جامعة باتنة 1

الملخص:

الهدف من هذا المقال هو محاولة تبيان كيفية تماسك النصوص وترابطها، وهذا ما يعين القارئ على تحليلها وفهمها، وذلك من خلال معرفة أهمّ العناصر اللغوية والدّلالية التي تجعله وحدة متلاحمة ومترابطة في شكل موحّد هو النص، و"سورة النجم" تجسَّد فيها كلّ التماسك والتضامّ بين عناصرها، وعلى نحو ذلك يستطيع القارئ تحليل النصوص وفكّ كل الرموز الغامضة، فيهدم ويفكك ثم يعيد عمليّة البناء في شكل نتاجٍ جديد، حيث تتحقق للنصِّ نصِّيته.

Summary :

The purpose of this article is to try to show how the text is cohesive and coherent, and this is what helps the reader to analyze and understand it through the knowledge of the most important linguistic and semantic elements that make it a coherent and interrelated unit in a uniform form. The text of the "Surah En-Najm" all the coherence and harmony between its elements The reader can analyze the texts and decode all the mysterious symbols, and then dismantle and then reconstruct the process in the form of a new product, where the textual is achieved.

توطئة:

إن القرآن الكريم كلام الله المنزه عن الخطأ، تتحقق فيه كل المعاني السامية بفضل الترابط والتماسك الشديدين بين أجزائه وعناصره، من الناحية اللغوية والدلالية، يتطلب قارئا متمكنا ليصل إلى حقيقة مقاصده وغاياته ومعانيه الخفية، فقد لجأ معظم الباحثين والدارسين إلى الاستعانة به لتوضيح أغلب الموضوعات في اللغة العربية، وأجدني أمام سورة النجم التي تظهر لنا حقيقة التماسك النصي وما تخفيه من مضامين متلاحمة ومترابطة، مع غناها بكل ألوان الجمال الأدبي الذي يسمح للمتلقي بفك شفراتها واستخراج مكنوناتها وسبر أغوارها، ليصبح قادرا على تحليل النصوص المقدَّمة إليه.

مفهوم التماسك:

يعدُّ مصطلح التماسك (Cohésion) من بين مصطلحات علم النص، ويعني "العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة"[1].

فالنص يتشكل من وحداتٍ تربطها علاقات مختلفة، لغوية أو دلالية وهذه العلاقات تضمن له الاستمرارية في أداء المعنى.

ويشير علماء النص إلى أن التماسك "خاصّية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى ، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص مما يتمثل في مؤشرات لغوية، وتقوم بوظيفة إبراز ترابط العلاقات المكونة للنص"[2].

فالتماسك يكون على المستوى اللغوي، في ظهور أدوات الربط اللغوية من حروف العطف وحروف الجر وغيرها، كما أنه يكون على المستوى الدلالي في وجود ضمائر محيلة قبلية أو بعدية، تجعل النص أكثر تماسكا، حيث يتمكن القارئ من تحليل وتأويل عناصره وفك رموزه وشفراته.

والتماسك "علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص غير أنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة المتماسكة"[3].

وبهذا يظهر النص في شكل موحد واحد، كل عناصره مترابطة ومتماسكة، وكل عنصر يحيل على آخر، سواء سبقه أو لحقه، وهذا ضمن سياق خاص له، يسهم بدوره في تحديد المعنى المقصود.

فالنص لا يكون عشوائيا في تركيبه، فتصبح عناصره متراصة دون نظام يحكمها، وبلا روابط تجمع شتاته وأجزاءه، إذ يجب مراعاة العلاقات التي تربط بين عناصر النص، كي يتمكن المحلل من فهم غاياته.

ومن علماء اللغة من جعل التماسك بين الجمل راجعا إلى التماسك بين الظروف المحيطة بها"، فترتبط العبارتان فيما بينهما، إذا كان مدلولهما أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مترابطة فيما بينها"[4].

آليات التماسك النصي:

1- الضمائر:

لقد حظيت الضمائر بقسط وافر من الدراسة لدى علماء العربية وعلماء النص، وقد أشاروا إلى أن مرجعية الضمير قد تكون داخلية، أي إلى مذكور في النص صراحة وهذا المذكور قد يكون سابقا أو لاحقًا، ومرجعية خارجية تعتمد على السياق أي ما هو غير مذكور في النص، وهناك ما يدل عليه[5].

تجدر الإشارة إلى أن سورة النجم تعالج قضية العقيدة في قاعدتها الأساسية إذ تبين العلاقة بين الألوهية والعبودية.

و"السورة تتناول الموضوع من زاوية معينة تتجه إلى بيان صدق الوحي بهذه العقيدة ووثاقته، ووهن عقيدة الشرك وتهافت أساسها الوهمي الموهون"[6].

ومن هنا نحاول أن نُبيّن دور الضمائر في جعل هذه السورة المكية متماسكة ومترابطة.

فالسورة عبارة عن نص منزل من الله تعالى عن طريق جبريل عليه السلام ومتلقيه الأوّل هو النبي صلى الله عليه وسلم لينذر المشركين ويبطل ادعاءاتهم الخاطئة، ويصحّح لهم قضية العقيدة، وبذلك تتوزع الضمائر على هذه العناصر:

الأوّل: الله تعالى.

الثاني: جبريل عليه السلام.

الثالث: الرسول صلى الله عليه وسلم.

الرابع: المشركون.

الخامس: المؤمنون.

ومن أهمّ الألفاظ التي تحمل ضمائر تعود على الله تعالى نجد: فأوحى – عبده – أوحى(10) – وله (21) – يشاء – يرضى (26) – ذكرنا (29) – هو – سبيله – وهو (30) – ليجزي – ويجزى (31) – هو – أنشأكم – هو (32) – أنه – هو – أبكى (43) – أنه– هو – أحيا (44) – أنّه – خلق (45) – عليه (47) – أنه – هو – أقضى (48) – وأنه – هو (49) – وأنه – أهلك (50) –أبقى (51).

فالضمائر (هو، الهاء، نا) عملت على ربط أجزاء الآيات شكلا ودلالة دون تكرار مخلّ بالمعنى، وهذه الآيات تعرض للمحاججة الشديدة وعناد الكافرين وفيه ترهيب لهذا التكذيب وشدّته.

ومن الآيات التي تحمل الضمير المنفصل (هو) نجد قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾[7].

- ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[8].
- ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾[9].

وكما هو معلوم توجد ضمائر مستترة تعمل بدورها على جعل النص أكثر تماسكا، ومن الآيات القرآنية في سورة النجم نجد قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[10].

- ﴿ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ ﴾[11].
- ﴿هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[12].

والتماسك الدلالي في الضمائر المنفصلة والمتصلة والمستترة يبرز ويتجلى في كون أن الآيات تتحدث عن هيمنة الله على الكون، وإثبات ربوبيته ووحدانيته وهو المعبود لا غيره.

وإذا لاحظنا الضمائر التي تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم، فإننا نجدها تصب في الاتجاه نفسه الذي تصب فيه الضمائر التي تعود على الله تعالى وهذه نماذج من الآيات التي بها مرجعية خارجية للنبي صلى الله عليه وسلم:

-﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[13].
- ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾[14].
- ﴿ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴾[15].

فهذه الضمائر تؤكد صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، وصدق رؤيته وأن الوحي أتاه من الله عز وجلّ، وبذلك تترابط الآيات مع ما سبق أنّ الله واحد، وأن رسوله جاء ليبين للناس المنهج السوي للحياة للفوز بالجنة.

وإذا انتقلنا إلى فئة المشركين نجدقوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾[16].

- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾[17].

فالخطاب وجه للمشركين؛ لأنهم أعرضوا وكفروا، وهذا ما حقق التماسك الشكلي والدلالي، ونجد في المقابل فئة المؤمنين الذين شهدوا بوحدانية الله تعالى بخلاف الكفار والمشركين، ومنها قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾[18].

2- التوابع:

"يأتي دور التوابع في التماسك النصي وتحليل النص من مصطلح التابع نفسه، إذ التابع يتبع متبوعه في بعض الأمور، ومن ثم يرتبط به لدرجة جعلت من عدّ بعض التوابع مع متبوعها كالكلمة الواحدة[19].

ومن خلال سورة النجم يتضح أن التوابع ثلاثة أنواع، وبها يتحقق التماسك النصي وهي:

1- العطف.

2- البدل.

3- النعت.

والعطف يكون بوجود علاقة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذا ترابط دلالي معنوي يسهم في جعل النص أكثر تماسكا.

ومن سورة النجم نجد قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[20].

فقد عطف جملة (ما غوى) على الجملة الأولى (ما ضل صاحبكم) وهذا بوجود حرف الواو".

و"الواو" في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾[21].

فهي واو الحال تبين الحالة التي كان عليها جبريل عليه السلام، وكذلك الحرف "ثم" فيقوله تعالى:" ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾[22]، فتفيد الترتيب والتراخي، وكل حروف العطف تعمل على ربط أجزاء وعناصر النص.

أمّا الإبدال: فقد عمل بدوره على تحقيق التماسك النصي ومن خلال تحليل آيات السورة نجد: قوله تعالى: ﴿ النَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾[23].

(إذا هوى) بدل اشتمال من النجم، "لأن المراد من النجم أحواله الدّالة على قدرة خالقه ومصرّفه، ومن أعظم أحواله حال هويّة"[24].

وأيضا قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى ﴾[25]. بدل اشتمال من جملة: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴾[26].

وبالنسبة للنعت: فيظهر دوره البارز في جعل أجزاء السورة مترابط ومتماسكة، نذكر بعض الآيات:

قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾[27]. صفة المحذوف يدل عليه ما يذكر بعده مما هو من شؤون الملائكة، بمعنى ملك شديد القوة.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾[28]، كلمة الأعلى صفة للأفق ووصف الأفق بالعلو ليبين ناحية من السماء وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[29] فلفظ "أخرى" صفة لنزلة، و معلوم أن الصفة تتبع الموصوف وهذا يخلق التماسك بين عناصر النص. و في قوله تعالى:﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾[30]. صفتان لمناة.

وقد قال ابن عطية: "كانت مناة أعظم هذه الأوثان قدراً وأكثرها عبادة، ولذلك قال تعالى: ﴿الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ فأكدّها بهاتين الصفتين[31].

وبهذا تكون التوابع من (عطف، بدل، نعت) قد لعبت دورا هاما في جعل سورة النجم متماسكة، وجاءت في شكل موّحد متضام ومتسق ومنسجم.

3- الإحالة (Référence) :

أ- مفهوم الإحالة:

إن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بدّ من

العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة[32].

ومن التعريفات المطروحة نذكر تعريف كيتاي Kittay الذي "يستعمل مصطلح (Anaplors)" فيقول: "تطلق تسمية العناصر الإحالة (Anaplors) على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"[33].

إذن الإحالة تعمل على التماسك النصي، فالكلمة في الجملة تحيل على عنصر ومعنى معيّن ويكون ضمن سياق تداولي خاص، يقول "لاينز": "إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة فالأسماء تحيل إلى المسميات"[34].

والإحالة "فعل تداولي تعاوني بين متكلم ومخاطب في بنية تواصلية معينة"[35].

كما تتجلى سورة النجم على أنها نص موجّه إلى الكفار والمشركين ينذرهم المولى عز وجل على فعلهم و ادعاءاتهم وأوهامهم التي لا أساس لها، وكما أشرنا من قبل إلى أن السورة توزعت فيها ضمائر عديدة محيلة على عناصر مختلفة (المولى عز وجل، النبي صلى الله عليه وسلم، المؤمنين، وجبريل عليه السلام، الكفار).

ولنلاحظ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[36].

فالإحالة، تظهر في مستهل الآية الكريمة (ربّك)، فالكاف عنصر يحيل على المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يحمل الرسالة إلى كل الناس، خاصة المشركين لأن سياق الحديث يبين لنا ذلك بعده، فتكون الإحالة في مقامها الخاص وهي إحالة عملت على جعل بنيات النص الصغرى أكثر تلاحما وتماسكا، حيث إن القارئ لا يجد خللا أو فجوة في أثناء قراءة النص، وبهذا يتحقق التماسك النصي.

وفي لفظة (أنشأكم) نجد الإحالة على عنصر آخر وهو المخاطب الثاني الذي توجه له الشفرة والرسالة، وهم العباد الذين خلقهم عز وجل من التراب، فكلنا من آدم وآدم من تراب، وهنا (الأرض) توحي إلى النشأة والبداية والأصل، فالإنسان إذا تذكر نشأته الأولى لا يحق له أن يتكبر على المولى عز وجل وهو الذي يعلم السرّ والجهر، ويعلم مراحل خلق الإنسان وكيف خلقه في بطن أمه، فلفظ (أعلم) يحيل على معنى عام وهو (العلم) وله دلالة أعمق، وإحالة بعيدة المدى وهي أنّه عليم بكل صغيرة وكبيرة، حتى ما يحدّث الإنسان به نفسه فكيف يكفر هذا الأخير ويتعالى على الله العليم الخبير.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى ﴾[37]، فالهاء ضمير متصل يحيل على الله عز وجل والفعل (أهلك) فعل ماض يحيل على عمل وقع في زمن مضى ويحمل دلالة قدرة الله عز وجل على العقاب كما فعل مع قوم عاد الذين طغوا وزادوا فسادا.

وهذه الإحالة تعود على عنصر سابق وجد في زمن مضى، فهنا وقع الربط بين زمن الكفار الذين يخاطبهم الله عز وجل في سورة النجم، ويذكرهم بالعقاب الأليم الذي نزل على قوم عاد، وهو أسلوب فيه ترهيب وتهويل لعظم ما يفعلونه وأنّ الله شديد العقاب، فهم ينكرون وحدانيته عز وجل رغم وجود الآيات العظيمة في خلقه.

وقد وجدنا أن الإحالة تربط بين عناصر مذكورة في العالم المحيط، أو أشياء نستطيع التعرُّف عليها، فالإحالة (Référence) هي "العلاقة بين العبارات والأشياء (Objets) والأحداث (évents) والمواقف (Situation) في العالم الذي تدل عليه العبارات"[38].

وتجدر الإشارة إلى أن الإحالة تكون بالضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، ووجدنا مرجعية الضمير كثيرة في سورة النجم، والمرجعية الداخلية منها والخارجية، فالداخلية تكون لعناصر غير مذكورة مثل ما حدثنا عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يذكر بلفظ صريح، لكن هناك دلالات توضح بشكل كبير أنها تعود عليه صلى الله عليه وسلم

والسياق مبين لذلك، أما فيما يخص المرجعية الخارجية "فتكون للذي لم يجر له ذكر في النص"[39].

ب- أنواع الإحالة:

تنقسم الإحالة حسب العلاقة الإحالية إلى نوعين كما حددها الباحثان: هاليداي (Halliday) ورقية حسن (R.Hasan)، وهما: "الإحالة المقامية والإحالة النصية وهي بدورها- الإحالة النصية – تحيل إلى السابق أو اللاحق"[40].

وقد وضع الباحثان مخططا يوضح هذا التقسيم:

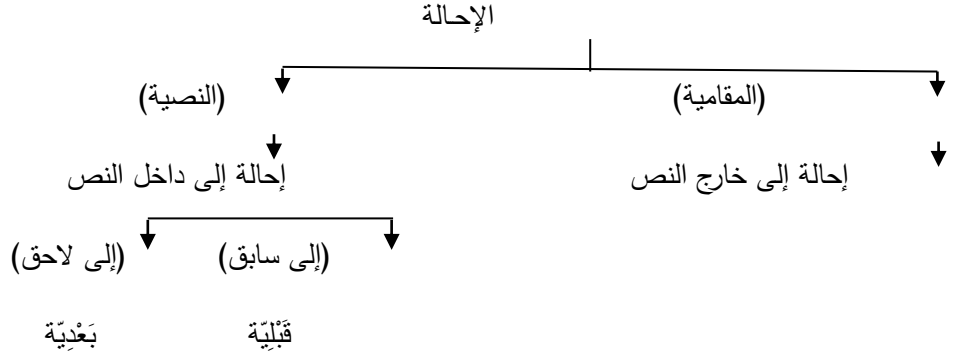

والإحالة المقامية (Exophora) ترتبط بالسياق الخارجي للنص، فهو يعين على معرفة الشيء المحال إليه، وبذلك يكشف الغموض وينزع الحجب عما هو خفي ليجعله بارزا موضحا.

أما النوع الثاني وهي الإحالة النصية أو داخل النص ويطلق عليها إحالة اللغة (Endophora) فهي تعني "العلاقات الإحالية داخل النص سواء أكان بالإحالة إلى ما يسبق أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي (يلحق) داخل النص"[41].

ولو حاولنا التطبيق في سورة النجم لوجدنا: الإحالة المقامية وهي الخارجية أنّ الله عزّ وجلّ قد أرسل كلامه المبين إلى سيِّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام، وهذا ما نعلمه دون إشارة إليه أو ذكر صريح في آيات السورة، فالمحال عليه هنا هو من يكشف الإبهام عن النص ويجعله قائما بذاته وواضحا جليًّا. فالقارئ قد اتضحت الأمور له، فمثلا في قوله تعالى:

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى ﴾[42]، نجد المحال عليه في الفعل "أعرض" هو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما يقتضيه المقام.

أما الحالة الثانية فهي كثيرة في سورة النجم وقد أشرنا إليها فيما سبق.

4- الاستبدال:

هو صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي و المعجمي بين كلمات وعبارات[43].

والاستبدال هو تعويض كلمة مكان أخرى أو جملة بجملة داخل النص، إذ يقوم المنتج بنزع عنصر ويضع مكانه عنصر آخر يتماشى وسياق النص الخاص.

و"هو أيضا وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل وشرطه أن يتم استبدال وحده لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين مع الشيء غير اللغوي في نفسه"[44].

وقد تمَّ تقسيم الاستبدال إلى أنواع، وهذا حسب نوع المستبدل والمستبدل منه.

أنواع الاستبدال: ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع:

1- استبدال اسمي: (Nominal Substitution) ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل: (آخر، آخرون، نفس).

2- استبدال فعلي:(Verbal Substitution) ويمثله استخدام الفعل (يفعل).

3- استبدال قولي: (Clausal Substitution) باستخدام (ذلك، لا)[45].

ومن الاستبدال الاسمي في سورة النجم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[46]، فقد استبدل كلمة "ثانية" بـ"أخرى" للفت انتباه القارئ وبهذا يتم الربط والتماسك الذي يشد فكر المتلقي إلى موضوع النص. وكذلك قوله تعالى:﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[47]، فقد حلَّت كلمة (أخرى) مكان (وازرة أخرى أو ثانية).

وفيما يخص الاستبدال القولي فنجد قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾[48]، فاسم الإشارة (تلك) جاء بدلا من الجملة السابقة له مباشرة وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى ﴾[49]، وهذا ما يجنب التكرار المُخِلّ واللّف والدّوران، كما يجعل كل العناصر متماسكة تماسكا شديدا، فكل عنصر يلتحم ويترابط مع عنصر آخر، فيضمن للنص استمراريّته.

5- المناسبة:

تعدُّ المناسبة آلية من آليات التماسك النصي، فهي تجعل أجزاء الكلام شيئا موحّداً، وبها يكون النص متضاما كالنسيج المتلاحم والمترابط، وقد أهمل المفسِّرون هذا العلم بسبب دقته وممَّن أكثر منه الإمام فخر الدين الرّازي في تفسيره:" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط "[50].

وكذلك "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرُّ البلاغة لآدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال"[51]، وحديثه هذا عن علم المناسبة وآيات القرآن الكريم لها سبب نزولها ولها موضوعها، إضافة إلى التناسب اللفظي، وهو ما توافرت عليه سورة النجم بكثرة.

وحين الحديث عن التناسب اللفظي، لا بد من الإشارة إلى مصطلح "المشاكلة"، فقد كان يستعمل في الدراسات القرآنية والبلاغية بمعنيين، أحدهما عام يشمل الكثير من أوجه التناسب اللفظي، وثانيهما محدود جعله البلاغيون خاصا بالأسلوب.

مفهوم المشاكلة:

"المشاكلة، بمفهومها العام أصل من أصول العربية، تطلب في الكلام ويترك لأجلها ما هو قياس في الصرف أو الإعراب ويتعمَّدها الفصحاء لما لها من قيمة جمالية"[52]، وهذا ما يجعل عناصر النص مترابطة سواء بين الأفعال أو الأسماء أو بينهما الاثنين، ويقع التجانس اللفظي، وقد يكون التجانس بين الأصوات والحروف، فتستحسنها الأذن البشرية وتخلق جرسا ونغما موسيقيا تطرب له النفوس.

ومن سورة النجم"، التي هي ميدان الدراسة، نجد المشاكلة بين الاسم والفعل في قوله تعالى:﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾[53]، وقوله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا ﴾[54]، وأيضا قوله تعالى: ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴾[55]، وهنا نجد الألفاظ (وحي، يوحى)، (أسماء، سمَّيْتموها)، (أزفت، الآزفة)، كلها مشاكلة لفظية تخلق التناسب والتجانس بين هذه الألفاظ وتأتي مترابطة ومتماسكة لأنها مشتقة من بعضها البعض، فهي تشترك في الحروف الأصلية التي تشكل الجذر الأصلي للكلمة.

أما المشاكلة بين الفعلين فمن سورة النجم دائما نجد قوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾[56]، وقوله: ﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾[57]، وهو تكرار فعلي يعمل على الترابط والتماسك يجمع أجزاء النص في شكل نسيج متضام.

وفيما يخص التجانس الصوتي نجد مثلا قوله: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[58]، فالألفاظ (هوى، غوى، الهوى)، متجانسة تشكل لونا من ألوان البديع، أما من الناحية الدلالية فنجد النفي بعد القسم وهو تأكيد على صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

بعد الحديث عن التناسب اللغوي اللفظي، يمكننا الحديث عن التناسب المعنوي، والمناسبة هنا تختلف باختلاف التحديد فنجد مثلا:

أ– مناسبة أول سورة النجم لما قبلها (سورة الطُّور).

السورة التي سبقت سورة النجم اختتمت بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾[59]، وجاءت مباشرة سورة النجم باللفظ نفسه وهو: "النجم".

إضافة إلى أن "سورة الطُّور" تضمَّنت الحديث عن القرآن ودعوى افترائه، وذكر هذا في بداية هذه السورة.

ب- مناسبة آخر السورة لما بعدها (سورة القمر):

في ختام سورة النجم ذكر للآيات التي تدل على دُنُوِّ الساعة وقربها كقوله تعالى: ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[60]، وافتتاح سورة القمر بذكر الآيات التي تدلُّ على دُنوِّ الساعة أيضا وقربها، كما في قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[61]، وهذا يجعل القرآن الكريم في تماسك كلي بتماسك كل سورة من سور القرآن الكريم بسابقتها وبلاحقتها.

ج- مناسبة آيات السورة لبعضها البعض:

1. من التماسك الذي نلحظه في سورة النجم بين آياتها قوله تعالى: ﴿ النَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[62]، "فمناسبة القسم بالنجم إذا هوى أن الكلام مسوق لإثبات أن القرآن وحي من الله منزّل من السماء فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم في حال نزوله مشابهة تمثيلية حاصلة من نزول شيء منير"[63]، وفي ذكر (إذا هوى) احتراس من أن يتوهم المشركون أن القسم بالنجم إقرار العبادة نجم الشعرى، وأن القسم به اعتراف بأنه إله إذ كان بعض القبائل العرب يعبدونها، ومن مناسبات هذا يجيء قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾[64]، وهذا إثبات للربوبية ووحدانية الله عز وجل، فمن النافع أن يتعظ البشر لأن الحق ظاهر.

د- مناسبة السورة واسمها:

يذهب الزركشي إلى أن تسمية السورة باسم معيِّن "ليس إلا تعضيدا لتقليد معلوم لدى العرب وهو تقليد يراعي في كثير من المسمَّيات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في

الشيء....ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء وسور الكتاب العزيز"[65].

وسميّت سورة النجم بهذا الاسم لقرينة ذكر الشعرى، وهو كما جاء في التفسير– نجم كان يُعبد من قِبل طائفة من الكفار– وبهذا يمكن القول إن هذه السورة قد تحقق فيها التماسك.

الهوامش والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص25.

(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص341.

(3) أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص90.

(4) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص97.

(5) صبحي إبراهيم الفقي، ص141.

(6) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص345.

(7) سورة النجم، الآية 30.

(8) سورة النجم، الآية 43.

(9) سورة النجم، الآية 49.

(10) سورة النجم، الآية 10.

(11) سورة النجم، الآية 32.

(12) سورة النجم، الآية 44.

(13) سورة النجم، الآية 02.

(14) سورة النجم، الآية 18.

(15) سورة النجم، الآية 55.

(16) سورة النجم، الآية 12.

(17) سورة النجم، الآية 23.

(18) سورة النجم، الآية 32.

(19) صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص243.

(20) سورة النجم، الآية 32.

(21) سورة النجم، الآية 32.

(22) سورة النجم، الآية 32.

(23) سورة النجم، الآية 32.

(24) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص90.

(25) سورة النجم، الآية 21.

(26) سورة النجم، الآية 19.

(27) سورة النجم، الآية 05.

(28) سورة النجم، الآية 07.

(29) سورة النجم، الآية 13.

(30) سورة النجم، الآية 30.

(31) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص97.

(32) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص17.

(33) الأزهر الزناد، نسيج النص، في ما يكون به الملفوظ نصا، ص118.

(34) جون يول براون ويول، تحليل الخطاب، ص36.

(35) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص137.

(36) سورة النجم، الآية 32.

(37) سورة النجم، الآية 50.

(38) تمام حسان، النص والخطاب والإجراء، ص302.

(39) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ص186.

(40) SEE : Halliday and R. Hasan, cohésion in English, p :33.

(41) David carter, interpreting anaphora in natural textes, england, 1987,p ;119.

(42) سورة النجم، الآية 29.

(43) مصطفى قطب، دراسة لغوية لصورة التماسك النصي، ص173.

(44) أحمد عفيفي، نحو النص–اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص123.

(45) Halliday and R. Hasan, cohésion in English, p :112.

(46) سورة النجم، الآية 13.

(47) سورة النجم، الآية 38.

(48) سورة النجم، الآية 22.

(49) سورة النجم، الآية 21.

(50) عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص61.

(51) برهان الدين البقاعي، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص05.

(52)أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، ص255.

(53) سورة النجم، الآية 04.

(54) سورة النجم، الآية 23.

(55) سورة النجم، الآية 57.

(56) سورة النجم، الآية 12.

(57) سورة النجم، الآية 54.

(58) سورة النجم، الآية 1-2-3.

(59) سورة الطور، الآية 49.

(60) سورة النجم، الآية 57-58.

(61) سورة القمر، الآية 01.

(62) سورة النجم، الآية 01.

(63) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص92.

(64) سورة النجم، الآية 49.

(65) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص270.